

أصل من أصوله ويتصل بباب من أبوابه»^(١) .

فالفارق بين هذه الأساليب ليس فرقاً في الحركات وما يطرأ على الكلمات وإنما في معاني العبارات التي يحدّثها ذلك الوضع والنظم الدقيق . ولذلك فليست العمدة في معرفة قواعد النحو وحدها ولكن فيما تؤدي إليه هذه القواعد والاصول ، وقد يكون أحدنا لا يعرف التسميات الدقيقة لموضوعات النحو ولكنه يعرف الفروق بينها ويحس بمعانيها حينما يسمعها شأنه في ذلك شأن البدوي الذي عاش بعيداً عن المصطلحات وما تعنى بها كتب النحو غير انه كان يفهم ما يسمع ويميز بين أسلوب وأسلوب . وأوضح عبد القاهر هذه المسألة وقرر أن الامر يتعلق بمعاني العبارات ووضعها مواضعها لا بمعرفة قواعد النحو والصرف واسماء موضوعاتها وقال : « قالوا : لو كان النظم يكون في معاني النحو لكان البدوي الذي لم يسمع بالنحو قط ولم يعرف المبتدأ والخبر وشيئاً مما يذكرونه لا يتأتى له نظم كلام ، وانا لنراه يأتي في كلامه بنظم لا يحسنه المتقدم في علم النحو . قيل : شبهة من جنس ما عرض للذين عابوا المتكلمين فقالوا : أنا نعلم ان الصحابة - رضي الله عنهم والعلماء في الصدر الاول لم يكونوا يعرفون الجوهر والعرض وصفة النفس وصفة المعنى وسائر العبارات التي وضعتموها فان كان لا تتم الدلالة على حدوث العالم والعلم بوحدانية الله الا بمعرفة هذه الاشياء التي ابتدأتموها فينبغي لكم ان تدعوا انكم قد علمتم في ذلك ما لم يعلموه وان مترثتكم في العلم أعلى من منازلهم . وجوابنا هو مثل جواب المتكلمين وهو ان الاعتبار بمعرفة مدلول العبارات لا بمعرفة العبارات فاذا عرف البدوي الفرق بين أن يقول «جاءني زيد ركباً» وبين قوله : « جاءني زيد الراكب » لم يضره ان لا يعرف انه اذا قال « ركباً » كانت عبارة النحويين فيه ان يقولوا في « ركب » انه حال ، واذا قال « الراكب » انه صفة جارية على « زيد » واذا عرف في قوله : « زيد منطلق » ان زيداً مخبر عنه ومنطلق خبر ، لم يضره أنّا نُسَمِّي زيداً مبتدأ»^(٢) . فالقاعدة ليست الهدف وإنما الهدف

(١) دلائل الاعجاز ص ٦٤ - ٦٥ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٣٢٠ .